# المشترك اللفظي في القرآن الكريم

**تولوس مصطفي**

مدرس اللغة العربية والمساعد الثالث لعميد كلية التربية بجامعة سونن كاليجاكا الإسلامية الحكومية بيوكياكرت

## Abstract

*In Arabic, there have been peculiar phenomena, on which linguists have done deeper researches in order to be able to discover their secrecies. Among them are uncommon words, obscure words, antonym, synonym, and homonym. This present research deals with the last phenomenon, in which despite the abundant researches their secrecies remain concealed both in theory and in practice. In theory, the examples are whether the phenomenon really exists or not; if there is, what kind of parameter has to be applied; and what brings about its occurrence. Regarding Arabic as the language of the Qur'ān, the phenomenon has an effect on its interpretation. Furthermore, various viewpoints of 'Ulamā' and the samples of the homonym prevailing in the Qur'ān are provided, for practical aspect.*

## Abstrak

*Dalam bahasa Arab, dikenal adanya fenomena khusus kebahasaan yang telah mendorong para ahli bahasa melakukan kajian untuk mengungkap rahasia di baliknya, seperti* al-nawādir, al-gharīb, al-aḍḍād, al-tarāduf, *dan* al-mushtarak al-lafẓy. *Dalam artikel ini, penulis membahas salah satu fenomena tersebut, yaitu* al-Mushtarak al-Lafẓy, *yang meskipun sudah banyak dikaji, tetapi masih menyisakan banyak problem teoritis maupun praktis, seperti keberadaan* al-mushtarak al-lafẓy *itu sendiri, kriteria, serta penyebab terjadinya fenomena tersebut. Terkait dengan posisi bahasa Arab sebagai bahasa al-Qur'an, keberadaan*

al-mushtarak al-lafẓy *juga berpengaruh pada penafsirannya. Di sinilah, penulis menitikberatkan kajiannya, baik dengan menuturkan silang pendapat para ulama maupun memberikan solusi aplikatif dengan mengemukakan contoh-contoh praktis.*

**Keywords**: mushtarak, lafẓy, qur'ān.

**أ. المقدمة**

يوجد في العربية بعض الظواهر الخاصة بالألفاظ، التى عدها اللغويون القدماء من سنن العرب في كلامهم، ولذلك تولوها عناية كبيرة، فرصدوا المفردات الداخلة تحت كل ظاهرة، وفسروها، وقدموا الشواهدالدالة عليها فى اللغات أو اللهجا ت العربية الفصيحة. ومن أقدم هذه الظواهر التى حظيت بكثرة التأليف فيها (الغريب) الذى وجه اليه اللغويون الأوائل جل اهتمامهم وبخاصة فى سياق تفسير القرأن والحديث، اذ أن العربية تحفل بكثيرة من مفردات الغريبة- بغض النظر عن الخلاف الكبير الذى ينشأ حول تفسير مفهوم الغريب – التى أوقف تفسير ها على الصحابة، بل اصحاب الفصاحة أنفسهم، وترددوا فى الإجابة حين سألواعن معناها، مما دفع عددا من اللغويين الى رصدهاوالبحث عن معا نيها بين الأعرا ب الفصحاء، وازالوا غموضها.

وتذكر كتب التراجم والطبقات ان الصحابى الجليل عبدالله بن عباس (ترجمان القران ت ٦٨ هـ) كان اول تقدم لتفسير غريب القرأن الكريم بكلام العرب، واليه ينسب ايضا أول كتاب فى غريب القرأن، ثم ألف فيه بعده عدد من جامعي اللغة الذين سبق ذكرهم، مثل الأصمعي وابي عبيدة وابن قتيبة، وثعلب والمفضل بن سلمة وابن دريد وابى حاتم السجستانى والراغب الأصفهانى وغيرهم. وقد انحصر التاليف فيها فى غريب القرأن او فى غريب الحديث او فى غريب اللغة.

أما الظاهرة الثانية فهي النوادر. فقد شغل اللغويون الأوائل برصدالألفاظ العربية التى يندر استخدامها، وجمعها وتدوينها وتفسيرها خشية ضياعها. ويبدو أن مفهوم النوادر لم يكن واضحا لديهم بشكل كاف، لأننا نلاحظ فى مؤ لفاتهم أشتاتا من المفرادات، بعضها متوغل فى الغرابة، عجيب فى بنيته ودلالته، وعلى الرغم من ذلك فقد دون بغير تفسير، فحكم عليه بأن يظل مستغلقا على الفهم، نادر الإ ستعمال، قليل الفائدة، وبعضها الآخر، وليس بقليل، ألفاظ

فصيحة مستخدمة غير غامضة الدلالة، بل ان كتبهم قد ضمت أيضا أبوابا أخرى لا تختلف عما ألف فى الرسائل وكتب الموضوعات والفصاحة والتثقيف اللغوى وغير ذلك. ومن أهم من ألف فيها أبو عمرو بن علاء(ت ١٤٥هـ) وأبو زيدالأ نصارى وأبو مسحل الأعرابى وقطرب والأصمعى وأبن الأعرابى وأبو عبيدة وغيرهم .

أما الظاهرة الثاثة فهي الأضداد. وقد اهتم علماء اللغة بجمع ذلك النوع من الألفاظ الذى أثار جدلا كبيرا بينهم، اذ لم يكونوا على اتفاق فى موقفهم من هذه الظاهرة، فنجد بعضهم يثبتها ويدافع عنها، ويعدهاخصيصة مهمة من خصائص اللغة العربية، بل حمل لواء الرد بعنف على محولات الشعوبيين الطعن فى العربية لاحتوائها على تلك الظاهرة. ونجد أيضا من تردد فيها، بل أنكرها وفند إدعاءات من رأى أنه يمكن أن يكون للكلمة معنيان متنافران أو متضادان، فذلك أمر يستحيل على الفهم وفى الإستخدام. ومن أهم ما ألف رسائل خاصة في الأضداد الأصمعي والسجستاني وابن السكيت وقطرب أما ابن الأنبارى وابو الطيب اللغوي والصغانى فقد تجاوزوا مرحلة الرصد والجمع الى مرحلة أخرى يتضح فيها التفسير والتعليل وابداء الرأى .

اما الظاهرة الرابعة فهي الترادف. فقد عني اللغويون بالتأليف فيها، فقد عدت بعض الرسائل وكتب الموضوعات من معاجم المفردات، لأنها تجمع أيضا الألفاظ التى تدور حول موضوع واحد أو معنى واحد. وفقد اختلفوا كذلك فى موقفهم من هذه الظاهرة، فنجد بعضهم يدافع عن وجود الترادف، بل ويعده خاصية مميزة للعربية دالة على ثرائها وويدفع فريق آ خر ببطلان ذلك، ولا يرون للشيء الا اسما واحدا، ويصيبون أحيانا فى تعليلا تهم بإ رجاع الترادف الى وجود شكلين مختلفين للفظ واحد، يصيران مع الاستعمال مترادفين أو الى تعدداللهجات أو شيوع صفة أو صفات لمسمى بعينه وفتتحول الى اسم له أو أو وجود لفظين لمعنين متجاورين، يختفى الفرق بينهما مع طول الإستعمال أو دخول كلمات معربة ترادف ما يناظرها فى العربية الى غير ذلك.

وقد يخفقون فى بعض الأحيان، ويعجزون عن ايجادفريق دقيقة بين المفردات، فيتحاملون ويسرفون فى تبريراتهم، ومما ألف فى هذه الموضوع (ما اختلفت ألفاظه واتفقت معانيه للأصمعى، (الأفاظ المفردات) لعلى بن عيسى الرمانى(ت ٥٨٤ هـ) ، (الروض المسلوف فيما له اسمان الى ألوف) للفيروزأبادى (٨١٧ هـ) .

أما الظاهرة الخامسة فهي المشترك اللفظى . وحده أن يكو ن اللفظ الواحد دالا على معنيين مختلفين فأكثر.ولم تسلم هذه الظاهرة أيضا من الخلاف بين العلماء، فعلى الرغم من اعتراف كثير منهم بإمكان اتفاق اللفظ وتعدد معانيه وهو ما يوافق منطق التغير اللغوى، اذ يمكن أن تحمل الكلمة الواحدة دلالات مختلة فى استعمالات متغايرة تشكلت على مراحل زمنية متتابعة وتلك علة غالبة ظاهرة فطن اليها بعض علماء اللغة القدا مى ومع ذلك فان بعضهم الآخر قداعترض علىذلك ولم ير للفظ إلا معنى واحدا وهو الأصل فان كانت له عدة معان أخرى فلذلك أسباب منهاالا ستعمال المجازى أو اتلاف اللهجات أو انتقال الدلالة أو التطورأوالاقتراض من اللغات الأخرى الى اخر تلك الأسباب المعلة للظاهر ة تعليلا د قيقا.

وهذا فى الحقيقة ليس رفضا لوجود الظاهرة، ولا خلاف بين الرأيين الآ من زاوية النظر، أمن النتيجة- أم من المقدمة . ومن أشهر من حمل لواء المعارضة لهذه الظواهر الثلاث الأخيرة ثعلب (٢٩١هـ) وأبن درستويه (٣٤٧ هـ) وأبو غلى الفارسى(ت ٣٧٧هـ) وقد بدأ التأ ليف فيها صورة رسائل صغيرة تفتقر الى الترتيب والتنظيم، مثل : (الأشباه والنظائرفى القرآن) لمقاتل بن سليمان (ت ١٥٠هـ) ، و(ما اتفق لفظه واختلف معناه) لأبى العمثيل الأعرابى (ت ٢٤٠ هـ) و(ما اتفق لفظه واختلف معناه) للمبرد (ت ٢٨٥ هـ) . أما كتاب (المنجد فى اللغة) لأبى الحسن على بن االحسن الهنائ المعروف بكراع (ت٣١٠ هـ) فيعد من اشمل ما وصل الينا حول المشترك.[١]

فان ظاهرة الاشتراك اللفظي تعدّ من الظواهر اللغوية الشائعة في معظم اللغات الحية، ان لم نقبل في جميعها، ولو أننا فتحنا معجما أيّ معجم عربي أو غير عربي، لوجدنا بين دفتيه ألفاظا تكاثرت عليها المعاني، بل لوجدنا لكل لفظ غير معنى واحد، والعربية واحدة من اللغات التي نشات في ظلّها هذه الظاهرة اللغوية، بل تميّزت من اللغات الأخرى برعايتها لهذه الظاهرة حتى كأنها صارت سمة للعربية لاتغادرها، وقد كثرت الرسائل والكتب المصنفة في جمع ألفاظ هذه الظاهرة، وما حوته بطون المعاجم كأن اكثرو حتى بلغت ذراها صاحب التاج الذي جمع للفظ ٠العجوز ما يقرب من مئة معنى.

وقد جعل بعض الدارسين الاشتراك ميّزة للعربية تزهو على غيرها من اللغات، وتمدّها بثروة كبيرة من الالفاظ والمعانى، وسلك آخرون غير هذا السبيل، فرأوا في هذه

[١] المدخل الي مصادر اللغة العربية، أ.د سعيد حسن نجيري، مؤسسة المختار، القاهرة ص. ١٠٦.

الظاهرة مثلبا في العربية يجللها بالغموض ويبنأى بها عن الفصاحة، فكان تفرّد العربية بهذه الظاهرة كثرة وتصنيفا واضطرابا في الاراء حولها، حافزا لنا على استقرائها وكشف النقاب عن حقيقة الفاظها بدراسة توائم بين التنظير والتطبيق.[٢]

ويريد الكاتب في هذه العجلة السريعة أن يلقي الضوء عن ظاهرة المشترك اللفظي وأقوال العلماء حوله وكيف حدث ذلك في القرآن الكريم .

**ب. معنى المشترك اللفظي**

***١) تعريف الاشتراك ومفهومه :***

تناول اللغويون المحدثون تعريف الاشتراك من أقرب السّبل، فقالوا: هوأن يدلّ اللفظ الواحد على أكثرمن معنى[٣]، وزاد بعضهم كدلالةعلى السواء عند أهل اللغة[٤]، وأضاف آخرون : بأن يكون وضعا أولا[٥]، أوأن يكون الاشتراك على طريق الحقيقة لا المجاز[٦]. ولا يخفى أن الاختلاف في تعريف المصطلح يورث اختلافا في مسائل كثيرة تتعلق بمفهومه وشروطه تبعا لتفصيل التعريف أو إجماله. والذي نذهب اليه في تعريف المشترك اللفظي انه :"لفظ مفرد يدلّ بترتيب حروفه وحركاته على معنيين فصاعدا دلالة خاصة، في بيئة واحدة، وزمان واحد، ولا يربط بين تلك المعاني رابط معنوي أو بلاغي .فباشتراطنا اللفظ المفرد يخرج التركيب الإسنادي والإضافي، وبترتيب حروفه يخرج القلب المكاني، وبترتيب حركاته يخرج المثلث من الكلام، وبالدلالة الخاصة تخرج العلاقة بين العام والخاص، وبالبيئة الواحدة يخرج اختلاف اللغات، وبالزمان الواحد، يخرج التطور الدلالي والصوتي، وبانتفاء

---

[٢] الإشتراك اللفظي في القرآ ن الكريم بين النظرية والتطبيق، محمد نور الدين المنجد، دار الفكر دمشق سورية. ص ١٥

[٣] انظر علم الدلالة، دز مختار ك١٤٥، وقاموس المصطلحات اللغوية الأدبية ك٥٤، ودراسات في فقه اللغة، د. الصالح :٣٥٠

[٤] انظر فصول في فقه العربية ك٣٢٤، وفقه اللغة العربية وخصائصها، دز اءميل يعقوب :١٧٨

[٥] انظر الدراسات اللغوية. د. آل ياسين : ٤١٦.

[٦] انظر فقه اللغة ودزوافي :١٨٣.

الربط المعنوي يخرج الإشتقاق من أصل واحد، وبانتفاء الربط البلاغي يخرج المجاز والاستعارة والكناية والتورية وما شاكل ذلك من الدلالات البلاغية. ولا يخفى ما في هذا التعريف من نظرة تعتد المنهج التاريخي في تأصيل ظاهرة المشترك، وتنأى عن وصف الواقع اللغوي الذي آلت اليه الألفاظ دلالاتها عصرنا الحاضر.

أما الغربيون فيفصلون في دراستهم للاشتراك بين مصطلحين، هما:*polysemy*، ويعنى تعدد المعنى للكلمة، وهذا أقرب لمعنى المشترك في العربية، والثاني:*homonymy*، وهذا مجموعة من الكلمات لا علاقة بينها سوى اتفاقها في الصيغة أو الشكل، وهو أقرب الى الجناس التام عندنا[٧]. وعن المصطلح الأول يقول (بالمر) : "قد نطلق على الكلمة الواحدة عدة معان مختلفة ومتعددة، فتجد لكلمة *flight* في المعجم عدة معان، وهي : المرور عبر الأجواء، وقوة الطيران، ورحلة جوية، وحدة قوة جوية، سلسلة من الخطوات، الكرة الطائرة وغيرها"[٨]، أما المصطلح الثاني فيعرفه (بالمر) بقوله :" الكلمات المتعددة في شكلها أو صيغتها"[٩]، ويرى (أولمان) أنه: الكلمات المتعددة المتحدة الصيغة"[١٠]، ويبدو أن العبرة عندهما في الاتفاق في النطق والأصوات بغض النظر عن صورة الكتابة[١١]، والأمر في العربية مختلف لاختلاف طبيعة اللغة، اذ الغالب فيها تطابق النطق مع الكلمة المكتوبة.[١٢]

لعل سبويه (ت ١٨٠ هـ) أول من ذكر المشترك في تقسيمات الكلام، اذ قال في كتابه: " اعلم أن من كلامهم اختلاف اللفظين لاختلاف المعنيين، واختلاف اللفظين والمعنى واحد، واتفاق اللفظين واختلاف المعنيين ... واتفاق اللفظين والمعنى مختلف قولك : وجدت عليه من

---

[٧] انظر علم الدلالة، د. مختار:١٦٢ وما بعدها، ودور الكلمة في اللغة :١١٢ وما بعدها.(٢و٣و٤) نقلا عن الدلالة اللغوية عند العرب ك١١٢– ١١٣

[٨] نقلا عن الدلالة اللغوية عند العرب ك١١٢– ١١٣

[٩] المرجع نفسه

[١٠] المرجع نفسه

[١١] انظر علم الدلالة، دز مختار ١٦٩

[١٢] الإشتراك اللفظي ص ٣٨

الموجدة، ووجدت اذا أردت وجدان الضالة، وأشباه هذا كثير "[١٣]، واكتفى سبويه بهذه الإشارة الى المشترك من غير تقعيد أو تنظير للمصطلح، وهكذا شأن البدايات، ان تكون غير واضحة المعالم.

ثم جاء ابن فارس (ت ٣٩٥ هـ) بعد قرنين من الزمان فذكر المشترك في باب أجناس الكلام كما ذكره سبويه من قبل، فقال ومنه اتفاق اللفظ واختلاف المعنى، كقولنا : عين الماء، وعين المال، وعين الركبة، وعين الميزان.."[١٤]، ثم أفرد بابا في كتابه (الصاحبي) للإشتراك، عرّف فيه المشترك، وذكر أمثلة عليه من كتاب الله تدّل على نظرته لمفهوم المشترك، فقال : "معنى الإشتراك : أن تكون اللفظة محتملة لمعنيين أو أكثر . كقوله تعالى جلّ ثناؤه (قا قذفيه في اليمّ فليلقه اليمّ بالسّاحل)-طه :٢٠/ ٣٩ – فقوله : (فليلقه) مشترك بين الخير وبين الأمر، كأنه قال: فاقذفيه في اليمّ يلقه اليم. ومحتمل أن يكون اليم أمر بإلقائه ... ومن الباب قوله : ذرني ومن خلقت وحيدا) ) –المدّثر :٧٤ / ١١- فهذا مشترك محتمل أن يكون الله جل ّثناؤه

### ٢) اختلاف العلماء في مجال المشترك اللفظيّ:

لم يتفق علماء اللغة على رأي في وقوع هذه الظاهرة في ساحة اللغة العربية، ففريق يجوّز، وفريق يمنع وفريق أخر يضيق مجاله ولكل فريق رأي واتّجاه

#### أ-آراء القدماء في وقوع المشترك :

تشهد كتب اللغة خلافا بين العلماء في إثبات المشترك وإنكاره، غير أن أكثر الرعيل الأول من اللغويين أثبته، وضرب عليه أمثلة، بل وأفرد له مصنفات تجمع ألفاظه علي نحوما رأينا آنفا وعلى رأس هذا الفريق الخليل وسبويه وأبو عبيدة والثعالب والمبرّد وغيرهم، وشأن معظمهم شأن أبي زيد الأنصاري الذي ذهب الى "ان المشترك قد ثبت وروده في اللغة، ولكنه

[١٣] كتاب سبويه :١/٧-٨

[١٤] الصاحبي :٣٢٧، وانظر :١١٤.

لم ينصّ على ذلك، ولم يناقش المشترك ومعناه، واكتفى بسرد الأمثلة "[١٥] .فهؤلاء جميعا أثبتوا الاشتراك وتوسّعوا فيه مسندين الى الشواهد العربية التي لا سبيل الي الشّكّ فيه.

فهذا ابن جنى مثلا يثبت الاشتراك للحروف، والأسماء، والأفعال على حدّسواء، يقول : "من، ولا، وان ونحو ذلك لم يقتصر بها على معنى واحد، لأنها حروف وقعت مشتركة، كما وقعت الأسماء مشتركة، نحو الصّدى، فانه ما يعارض الصوت، وهو بدن الميت، وهو الطائر يخرج فيما يدّعون من رأس القتيل اذا لم يؤخذ بثأره، وهوأيضا الرجل الجيد الرعية للمال في قولهم : وهو صدى مال ... ونحوه مما اتّفق لفظه واختلف معناه. وكما وقعت الأفعال المشتركة، نحو وجدت في الحزن، ووجدت في الغضب، ووجدت في الغنى، ووجدت في الضّالّة، ووجدت بمعنى علمت، ونحو ذلك، فكذلك جاء نحو هذا في الحروف"[١٦].

ود فع حرص اللغويين الرّواة الى جمع مادة كبيرة من المشترك، فرووا أن لكلمة (الحوب) مثلا ثلاثين معنى، وأن لكلمة (العجوز) سبعة وسبعين معنى ذكرها صاحب القاموس، واستدرك عليه صاحب التاج بضعة وعشرين معنى لم يذكرها الفيروزابادي[١٧]. ولعلّ هذا التّكثّر من المعاني من غير تمحيص أو تقييد دفع فريقا من اللغويين الى إنكار المشترك أو تضييق دائرته تضييقا شديدا.

وكان على رأس هؤلاء ابن درستويه (ت ٣٤٧ هـ) الذي ضيّق مفهوم المشترك وأخرج منه كل ما يمكن ردّ معا نيه الى معنى عام يجمعها، جاء عنه في المزهر : "قال ابن درستويه في شرح الفصيح، وقد ذكر لفظة (وجد) واختلاف معانيها –هذه اللفظة من أقوى حجج من يزعم ان من كلام العرب مايتفق لفظه ويختلف معناه : لأن سيبويه ذكره في أول كتابه، وجعله من الأصول المتقدمة فظن من لم يتأمّل المعنى، ولم يتحقق الحقائق أن هذا لفظ واحد قد جاء لمعان مختلفة، وانما هذه المعاني كلها شيء واحد، وهو اصابة الشيء خيرا كان أو شرّا،

---

[١٥] أبو زيد النصاري وأثره في دراسة اللغة :١٤١.

[١٦] الخصائص :١١٢/٣-١١٣

[١٧] انظر القاموس المحيط وتاج العروس :مادة (عجز)

ولكن فرّقوا بين المصادر، لأن المفعولات كانت مختلفة"[١٨]، ويقول أيضا : " فاذا اتّفق البناءان في الكلمة والحروف ثم جاءا لمعنيين مختلفيين، لم يكن بدّ من رجوعهماالى معنى واحد يشتركان فيه، فيصيران متفقي اللفظ والمعنى"[١٩] وهذا ملمح جديد في معالم المشترك نلمسه عند ابن درستويه، ألا وهو المعنى العام الذي يستغرق أبعاضه، فكان ابن درستويه يردّ المعني المختلفة الى أصل واحد يضم تلك الفروع، ويعتمد عليه في إنكار المشترك.

وسبب الإنكار عنده أن اللغة موضوعة للإبانة، والاشتراك تعمية تتنافى مع هذا الغرض، يقول :" فلو جاز وضع لفظ واحد للدلالة على معنيين مختلفين، أو أحدهما ضدّ الآخر، لما كان ذلك إبانة، بل تعمية وتغطية"[٢٠]، ومع ذلك فإن ابن درستويه يقول بالقليل من المشترك فيستدرك قائلا : " ولكن يجيء الشيء النادر من هذا لعلل[٢١] " والقول بالقول بالعلل دليل حدوث بعد أصل، وعلل النادر عند ابن درستويه تتمثل في تداخل اللهجات، أو الحذف والاختصار، فهذا من المشترك، يقول :" وانما يجيء ذلك في لغتين متباينتين. أو لخذف واختصار وقع في الكلام، حتى اشتبه اللفظان، وخفي سبب ذلك على السامع، وتأوّل فيه الخطأ"[٢٢]، ولا نعدّ ذلك إقرارا منه بالمشترك، لأنه لم يخرج فيه عن منهجه التأصيلي في دلالة الألفاظ، وانما أشار الى واقع لغوي يوهم بالإشتراك وما هو منه، نلحض ذلك في قوله: في لغتين متباينتين، حذف واختصار، اشتبه اللفظان، خفي السبب، تأوّل الخطأ، وكل ذلك لايعدّ عللا حقيقية للإشتراك اللفظي عند ابن درستويه حسب منهجه التاريخي في وضع الألفاظ ودلالاتها.

يرى ابن درستويه المشترك اللفظ لا يقع في كلام العرب للأمور التالية:

- ليس من الحكمة والصواب ان يقع المشترك اللفظي في كلام العرب لأنه يلبس، وواضع اللغة وهو الله عز وجل حكيم عليم فقد وضع الله تعالى اللغة للإبانة عن المعنى.

---

[١٨] المزهر ك١/٣٨٤

[١٩] نقلا عن فضل في فقه العربية :٣٢٥.

[٢٠] المزهر :١/٣٨٥.

[٢١] الموضع السابق .

[٢٢] الموضع السابق.

- لوجاز وضع لفظ واحد للدلالة على المعنيين لماكان ذلك إبانة، بل تعميم وتغطية.
- الذين جوزوا وقوع المشترك اللفظي متوهمون مخطئون، والمثل على ذلك مجيء فعل وأفعل لمعنيين مختلفين في نظر المجوزين فمن لا يعرف العلل، فيتعمق في دراسة الكلمات يحكم هذا الحكم مع أنهما في الحقيقة لمعنى واحد . واذا وقع في كلام العرب أنما لمعنيين مختلفيين، فانما يرجع ذلك الى لغتين متباينتين، أو لخذف واختصار وقع في الكلام.
- ويضرب مثلا على توهم المجوزين بلزوم الفعل وتعديته وذلك أن الفعل لا يتعدّى فاعله اذا احتيج الى تعديته على لفظه الذي هو عليه حتى يتغيّر الى لفظ آخر بأن يزاد في أوله الهمزة، أو يوصل به حرف جر ليستبدل السّامع على اختلاف المعنيين.
- ويرى ابن درستويه أن بعض هذا الباب، ربما كثر استعماله في كلام العرب حتى يحاولوا تخفيفه، فيحذفوا حرف الجرّ منه، فيعرف بطول المادة، وكثرة الاستعمال وو ثبوت النقول، واعرابه فيه خاليا عن الجارالمحذ وف"[٢٣].

وفي موطن آخر نرى ابن درستويه يسوق مثلا يدلل في ضوئه على أن المشترك اللفظيّ شيء ثابت فقط في أذهان من لم يتعمقوا في اللغة، ويعيشوا في محرابها بعقول متفتحة ونظرات نافذة، وذلك لأن اللغة في رأيه لا تعرف بهذه الظاهرة، وانه اذا وجد اختلاف في المعنى فانما يرجع الى تصاريف الكلمة، فهي المفتاح الوحيد للتفرقة بين المعاني، يقول :

وأما قوله : أقسط الرجل : اذا عدل وفهو مقسط، وقسط :اذا جار فهو قاسط، قال الله عز وجل : ( **وامّا القاسطون فكانوا لجهنّم حطبا**) [٢٤]، فهو كما قال، ولكن الأصل فيهما من القسط، وهو العدل في الحكم، والتّسوية بين الخصوم، وفي الأنصباء، وذلك سمّي المكيال : قسطا، والنصيب قسطا والميزان قسطاسا.

واذا استعمل ذلك في الظلم، قيل، قسط بغير ألف، وهو يقسط فهو قاسط على وزن : ظلم يظلم فهو ظالم، أي لم يوف بالمكيال والميزان أو في النصيب.

---

[٢٣] المزهر : ١ /٣٨٥ يتصرّف في المشترك اللفظي في الحقل القراني، د عبد العالم سالم مكرم، مؤسسة الرسالة، بيروت ص ١٣

[٢٤] الجن :١٥

واذا استعمل في باب التسوية والإنصاف قبل : أقسط بلا ألف، فهو مقسط على وزن أنصف فهو منصف، أي صار ذا نصفة، وذا تسوية بالقسط، لأنهما بمعنى واحد[٢٥].

فاختلاف المعنى في هذه الكلمة راجع الى تصريف هذه الكلمة أو بعبارة الى الألف الزائدة في أقسط ووعدم وجودها في قسط وومهما تغيرت المعانى، فانها ترجع الى معنى واحد.

***ب-آراء المحدثين في وقوع المشترك:***

أقرّ المحدثون وقوع المشترك اللفظي في العربية، بل في جميع اللغات[٢٦]، وعلل الأستاذ محمد المبارك ذلك بأن" أكثر الأصول التي تشتق منها الألفاظ للدلالة على معان جديدة ذات معان عامة، لذلك فقد تستعمل للدلالة على مسميات مختلفة تشترك في تلك الصفة، أو ذلك المعنى العام"[٢٧]، ويرى بعض المحدثين أن من التعسف إنكار الاشتراك في العربية، وتأويل جميع الأمثلة تأويلا يخرجها من مفهوم الاشتراك، ففي بعض شواهده لا نجد بين المعاني التي يطلق عليها اللفظ الواحد أية رابطة تسوّغ هذا التأويل[٢٨].

وعلى هذا فالمحدثون لم ينكروا الاشتراك، وان كانوا قداختلفوا في دائرته ضيقا واتّساعا- كما سنرى- بل كانوا أبعد أفقا، اذ تعمقوا في اثر السياق في تحديد دلالة المشترك غلى وجه مخصوص، يرى(فندريس) مثلا اننا نكون منخدعين اذا قلنا للكلمة الواحدة أكثر من دلالة في ان واحد، يقول:" إننا حينما نقول بان لإحدى الكلمات أكثر من معنى واحد في وقت واحد نكون ضحايا الانخداع الى حدّما، اذا لا يطفو في الشعور من المعاني المختلفة التي تدلّ عليها احدى الكلمات الا المعنى الذي يعيّنه سياق النّص، أما المعانى الأخرى جميعها فتمحى وتبدّد، ولا توجد اطلاقا"[٢٩]، ويرى (فندريس) كذلك أن" السياق أيضا هو الذي يخلص الكلمة من الدلالات الماضية التي تدعها الذاكرة تتراكم عليها، وهو الذي يخلق لها قيمة حضارية،

---

[٢٥] تصحيح الفصيح لابن درستويه :٣٧٤، ٢٧٣

[٢٦] انظر فقه اللغة، محمد المبارك:١٧٢، وفقه اللغة العربية وخصائصها، د.اءيمل يعقوب :١٧٩.

[٢٧] فقه اللغة، محمد المبارك ك١٧١.

[٢٨] انظر الفقه اللغة، دزوافي :١٨٤، وفقه اللغة العربية وخصائصهاود. ايمل يغقوب :١٧٩

[٢٩] اللغةو فندريس :٢٢٨ز

ولكن الكلمة بكل المعاني الكامنة توجد في الذهن مستقلة جميع الاستعمالات التي تستعمل فيها، مستعدة للخروج والتّشكّل بحسب الظروف التي تدعوها"[٣٠]، والى مثل هذا يذهب (أولمان) في حديثه عن أثر السياق، فيقول :" اذا تصادف أن اتفقت كلمتان أو اكثر في أصواتها اتفاقاتاما، فإن مثل هذه الكلمات لا يكون لها معنى البتة. دون السياق الذي تقع فيه"[٣١]، ونعتقد ان(_أولمان) في جانب الصواب حين قال :لا يكون لها معنى البتة، وكان حريّا به أن يقول : انها تحتمل جميع المعاني الممكنة، والسياق الذي تقع فيه يحدّد لنا المراد من تلك المعاني.

وقد تحدث كثير من المحدثين العرب عن أهمية السياق في تعيين المعنى المقصود من المشترك[٣٢]، حتى ان بعضهم بالغ فنفى أن يكون المشترك الا بين طيّات المعاجم، يقول د. رمضان مثلا ان: "المشترك اللفظي لاوجود الا لمعنى واحد من معاني هذا المشترك اللفظي"[٣٣]، ونرى فوق هذا أننا لو تصفحنا بعض المعاجم العربية، لماوجدنا شروحا للألفاظ وتبيانا لمعانيها الا من خلال أمثلة سياقية من القرآن، أو الحديث، أو الأمثال والأشعار، وعلى هذا نقول : ان المعاجم نفسها لاتقوم الا على شواهد تبيّن معنى اللفظ من السياق، ورغم ذلك كله فاننا لاتذهب مذهب د. رمضان فننكر وجود المشترك في نصوص اللغة واستعمالاتها، فتلك مسألة شغلت علماء الأ صول والمناطقة من ورائهم زمنا- كما سنرى- وما نظن ذلك الا لأنهم صادفوها في نصوص لغوية حية، فكان لهم وقفة ازاء استخدام المشترك في جميع معانيه سياق واحد قبولا أورفضا.

واختلف المحدثون في دائرة الإشتراك ضيفا واتساعا تبعا لاختلافهم في تعريف المشترك وشروطه، فمثلا د. وافي ضيّق الإشتراك بأن أنكر أن يكون من أسبابه العوارض التصريفية، يقول:"تؤدي القواعد الصرفية الى ان تتفق لفظتان متقاربتان في صيغة واحدة، فينشأ عن ذلك تعدد في معنى هذه الصيغة، تؤدي الى جعلها من قبيل المشترك، وهي ليست منه الا في الظاهر. واليك مثلا لفظ (وجد) فانه يجيء ماضيا من الوجدان بمعنى العلم بالشيء،

---

[٣٠] السابق نفسه :٢٣١- ٢٣٢

[٣١] دور الكلمة في اللغة، أولمان: ٦٠.

[٣٢] انظر مثلا (نظرية السابق) في علم الدلالة، دزمختار ك٦٧- ٧٨، ودراسات في فقه اللغة، دزالصالح ك٣٥٥، وعلم الدلالة العربي، دز فايز الداية :٨٢

[٣٣] فصول في فقه العربية :٣٣٤.

أو العثور عليه، ومن الموجدة بمعنى الغضب، ومن الوجد بمعنى الحب الشديد"[٣٤]، وحقيقة الأمر أن هذا الاتفاق في الصيغة ليس نتيجة لقواعد صرفية. وانما هي المادة (وجد) نشتق منها مصادر عديدة متنوعة المعنى تعود جميعا الى دلالة عامة هي إصابة الشيء خيرا كان أو شرّا، فبمجرد النطق بالفعل (وجد) تتزاحم في الذهن هذه المعاني، والسياق يحدد المقصود.

ويرى بعض المحدثين توسيع الاشتراك في جانب التصريف هذا، لأن التصاريف لم تستقر غالبا على قاعدة، او رأي واحد مما دعا الكثير من الدارسين والمدرسين الى الشكوى من صعوبة الضّبط والرّبط، الا على أساس من الضوابط الغالبة، لاالقواعد الجامعة المانعة، كما هو مفروض في القواعد[٣٥].

واتخذ فريق من اللغويين المحدثين إنكار المجاز سبيلا الى تضييق دائرة المشترك وقد ذهبنا الى مثل هذا في تعريفنا للمشترك، وهومنها بريء، يقول في هذا د. وافي: من هذه الأمثلة ألفاظ نقلت عن معناها الأصلي الى معان مجازية أخرى لعلاقة ما فاعتبرت لذلك من المشترك، وهي ليست منه"[٣٦]، وكذلك يرى د. الخفاجي ان " الأصل أن تكون الألفاظ المشتركة في لفظة واحدة منفصلة الدلالة لاتقوم بينهما علاقة ما، كتلك العلاقات التي تقوم على التشابه أو الوان المجاز، وهذايؤدي في النهاية الى حذف أعداد كبيرة مما قد وضعه اللغويون في المشترك اللفظي ويبقى في النهاية عدد من الألفاظ يمكن ان يمثل المشترك تمثيلا حقيقيا"[٣٧]

وحقيقة الأمر أن المشترك غير المجاز أصلا، لأن المشترك ظاهرة لغوية أما المجاز فظاهرة بلاغية، والمشترك يدلّ على حقيقتين أو أكثر في أصل الوضع كما بيّنّا، واما المجاز فغير ذلك، ولعل في تمايز القرائن بينهما ما يؤكد هذا الرأي، فقرينة المشترك تميّز أحد معانيه الحقيقيةوأما قرينة المجاز فتدلّ على كونه مجازا، ولذلك ينبغي إخراج المجاز من عداد المشترك.

---

[٣٤] فقه اللغة، دزوفي ك١٨٥.

[٣٥] انظر المشترك اللغوي نظرية وتطبيقاود. توفيق شاهين :٦٦.

[٣٦] فقه اللغة، دز وفي :١٨٤.

[٣٧] علم الفصاحة العربية ك٣٧٧.

ويبدو أن د. اءبرهيم أنيس وقع في تناقض إزاء المجاز والإشتراك، فقد ذكر ان المجاز لايعدّ في حقيقة الأمر من المشترك، وبالتالي فاءن الألفاظ المشتركة حقيقة نادرة، ولا تكاد تجاوز أصابع اليد عدّا، وان ما وقع من المشترك في القرآن قليل جدّا، وجلّه ان لم يكن كله مما تلحظ فيه الصلة المجازية[٣٨]، ثم صرح في موضع آخر بالرغم من هذا التضييق الشديد لدائرة الاشتراك ان المعاجم العربية قد امتلأت به[٣٩]، وأنّ مانشأ عن التطور الصوتي يبلغ المئات[٤٠]، بل وأكثر من هذا أنه جعل الانتقال من الحقيقة الى المجاز اهم العوامل في نشؤ معظم المشترك[٤١]، فمرة أنكر أن يكون المجاز من المشترك، وأخرى حعله من أهم أسبابه، وبهذا نرى التناقض الذي وقع فيه د. انيس بين كتابيه (دلالة الالفاظ) و(في اللهجات العربية).

والحق بعد ذلك ان من المجاز ما يمكن بل يسهل تمييزه من الحقيقة، كإطلاق لفظ (الهلال) على هلال السماء، وهلال الصيد، وهلال النعل، هلال الإصبع، وعلى الحية اذا سلخ جلدها، وعلى الجمل الهزيل، وبقية الماء في الحوص، فلفظ (الهلال) هنا حقيقة في هلال السماء، مجاز في باقي المعاني لعلاقة المشابهة، ولكن ثمة مجازات غير قليلة يعسر فيها التمييز بين الحقيقة والمجاز، بل ربما غلبت الحقيقة في الاستعمال، والسبب في ذلك ان الصلة المجازية اصبحت غامضة علينا في كثير من الفاظ المجاز، بعد أن كانت واضحة في زمان حدوثها، فلبعدها عنّا، وبعد الملابسات التاريخية التي حدثت في ظلها أصبحت خافية عنّا، ولهذا لا نستطيع التمزيز بين الحقيقة والمجاز في كثير منها.

والذي نراه ان تصنّف المجازات المنسية جنبا الى جنب مع ألفاظ الحقيقة في عداد المشترك وتخرّج منه ألفاظ ما تزال تلمح فيها الصلة المجازية بحيث تثير الدهشة والإستغراب، وهذا هو ما أشار اليه د.أنيس في المجاز، اذ اشترط:ان يثير عند سماعه دهشة أو غرابة، أي يحسّ السامع أو القارئ ان في استعمال الكلمة بهذا المعنى أمرا غير عادي يبعد قليلا او كثيرا

---

[٣٨] انظر دلالة الألفاظ :٢١٣ –٢١٥.

[٣٩] انظر في اللهجات العربية :٢٠١.

[٤٠] انظر السابق نفسه :٢٠٤.

[٤١] انظر السابق نفسه :١٩٣– ١٩٥.

عن مألوف الناس وفهمهم لمثل هذه الكلمة"[٤٢]، وهذا مالا ينطبق فيما نظن على كثير من المجازات المعدودة في المشترك، واذن فلا بدّ من قبل المجاز المنسي أنه سبب من أسباب حدوث المشترك.

ولعل من المفيد هذا ان نذكرمثال (أولمان) على انخراف الكلمة الى معنى مجازي تخفى مع الزمن الملابسات التاريخية التي حدث في ظلّهاو يقول " كيف اكتسيت الكلمة *collation*أي الموازنة والمراجعة التفصيلية، مثلا معنى الأكلة الخفيفة؟ من البديهي أنه ليست هناك مشابهة بين المعنيين، بل ان احتمال وجود أي صلة بينهما، احتمال يبدو بعيدا أول الأمر، ولكن التاريخ يمدّنا بما يفسّر هذه الحالة. لقد كانت العادة قي بعض الأديرة ان يتناول الرهبان طعاما خفيفا بعد فراغهم عن قراءة سير الرّوّاد الوئل من رجال الدين، ومرا جعة هذه السير، فكان هذا الارتباط العرضي كافيا لأن ينحرف بالكلمة، ويقودها الى هذا التطور في المعنى"[٤٣].

ويؤيد أبو هلال العسكري (ت٣٩٥ هـ) ابن درستويه، فينقل رأيه من غير تصريح باسمه في مقدمة (فروقه) وقد عرفنا من قبل اتباعه لابن درستويه في إنكار الترادف، وعلّة الإنكار عندهما أن الاشتراك ينافي حكمة الوضع، وهذا مبني على كون اللغات توقيفية ويقول أبو هلال : " وقال بعض النحو يين : لا يجوز أن يدلّ اللفظ الواحد علي معنيين مختلفين حتى تضاف علامة لكل واحد منهما، فإن لم يكن فيه لذلك علامة أشكل، وألبس على الخاطب، وليس من الحكمة وضع الأدلّة المشكلة، الاّ أن يدفع الى ذلك ضرورة أو علّة، ولا يجيء في الكلام غير ذلك الاّ ماشذّ وقلّ"[٤٤].

وربما يؤخذ على ابن درستويه وأبي هلال أنهما بنيا إنكارهما للمشترك على أساس غير متين، ذلك لأن تنظير لغوي على أساس ديني غير لغوي أولاو وغير متفق عليه ثانيا، فالقول بتوقيف اللغة وحكمة الوضع يستند الى قوله تعالى : (**وعلّم آدم الأسماء كلّها**)- البقرة :٣١/٢-

---

[٤٢] السابق نفسه :١٩٤ –١٩٥.

[٤٣] نقلا عن فصول في فقه العربية : ٣٢٨.

[٤٤] الفروق في اللغة :١٤

وتفسير الآية مختلفة فيه على أقوال كثيرة[٤٥]، مما يفقد الأساس ثباته والنظرة التوقيفية وحكمة الوضع إن شاءا ذلك، ليس العكس.

ويؤخذ على ابي هلال أيضا قلقه وتردده بين إنكاره النظري للمشترك كما راينا آنفا، والإقرار به موضع مختلفة من (فروقه) والتمثيل له، يقول مثلا (وأما السماع فيكون اسما للمسموع، يقال لما سمعته من الحديث هو سماعي، ويقال للغناء سماع، ويكون بمعنى السمع، تقول : سمعت سماعا، كما تقول : سمعت سمعا"[٤٦]. ويقول أيضا : " ولفظ النفس مشترك يقع على الروح، وعلى الذات، ويكون توكيدا... والنفس : ملء الكف من الدباغ"[٤٧]، ففي مثل هذه الأقوال دليل على قلق موقفه من ظاهرة الإشتراك اللفظي، وتردده بين المنهج التاريخي والقول بتوقيف اللغة من جانب، والمنهج الوصفي حسب واقع اللغة من جانب آخر.

وممن أسهم في التنظير لمفهوم المشترك أيضا أبو علي الفارسي (ت ٣٧٧ هـ) ، اذا ميّز بعضا من معالمه، فأنكر أن يكون المشترك أيضا في الوضع اللغوي، وعلّل وجوده بتداخل اللهجات، والإستعارة، يقول : " اتّفاقا للفظين واختلاف المعنيين ينبغي ألا يكون قصدا في الوضع ولا أصلا، ولكنه من لغات تداخلت، أو تكون كل لفظة تستعمل بمعنى، ثم تستعار لشيء، فتكثر وتغلب، فتصير بمنزلة الأصل"[٤٨]. وبهذا يكون أبو علي اخذ بالأصول اللغوية للألفاظ، ولم ينس تعليل واقعها اللغوي بعيدا عن تلك الأصول.[٤٩]

ومن المؤمنيين لراي ابن درستوية الأستاذ الدكتور ابراهيم أنيس فما رأيه ؟

***راي الدكتورابراهيم أنيس :***

يرى أستاذنا الفاضل أنّ المشترك اللفظيّ لا يقع الا في لفظة تؤدّي الى معنيين مختلفتين كلّ الاختلاف، ليس بينهما أدنى ملابسة أو أية علاقة، أو أيّ نوع من انواع الارتباط .

يقول نصه : اذا ثبت لنا من نصوص أنّ اللفظ الواحد قد يعبّر عن معنيين متباينين كلّ التبّاين سميّنا بالمشترك اللفظيّ.

---

[٤٥] انظر تفسير الحجر المحيط ك١/١٤٥ -١٤٦

[٤٦] الفروق في اللغة :٨١.

[٤٧] السابق نفسه :٩٦.

[٤٨] المخصص ك١٣/٢٥٩.

[٤٩] الإشتراك اللفظي ص ٣٤

اما اذا تضح أنّ أحد المعنيين هو الأصل، وأن الأخر مجازله فلا يصح أن يعدّ مثل هذا من المشترك اللفظيّ في حقيقة أمره[٥٠] .

ويضرب استاذنا مثلا لذلك الذي يجعله العلماء الأسبقون بأ نه من المشترك اللفظيّ مع أنه في الحقيقة ليس كذلك .

يضرب مثلا بكلمة : الهلال فهي حين تعبّر عن هلال السماء، وعن حديدة الصّيد التي تشبه في شكلها الهلال، وعن هلال الفعل الذي يشبه في شكله الهلال، لايصح اذا أن تعدّ من المشترك اللفظيّ، لأن المعنى واحد في كلّ هذا، وقد لعب المجاز دوره في كل هذه الاستعمالات.

والى جانب هذا المثال يقدّم مثالا آخر تتضح فيه ظاهرة المشترك اللفظي، الذي يرى أنه يوجد حينما تفقد الصلة بين المعنيين في اللفظ المشترك وهذا المثال هو الكلمة :الأرض ، ان الأرض :هي الكرة الارضيّة، وهي أيضا الزّكام ، وكأن يقا ل لنا : ان الخال هو أخو الأم، وهو الشامة في الوجه، وهو االكلمة الصغيرة .

ويؤيد الدكتور ابراهيم أنيس رايه بأن القرآن الكريم لم يقع فيه المشترك اللفظيّ الاّ قليلا جدا ونادرا، فيقول :

ويندرأن تصهادفنا كلمة مثل أمة التى استعملت في القرآن الكريم بمعنى : جماعة من الناس وبمعنى الحين في قوله تعالى (وادّ كر بعد أمة)٥١، وبمعنىالذين فيقوله تعا لى(انا وجدنا اباءنا على أمّة)٥٢.

***مناقشة هذا الرأي :***

ان ما ذكره الدكتورابراهيم أنيس يختلف كل الاختلاف عما ذكره الأقدمون والمتاخرون في أنّ المشترك اللفظيّ وقع في القرآن الكريم بكثرة سواء كانت المعاني الدليلة اللفظة الواحدة متقاربة أو متباعدة.

---

[٥٠] دلالة الألفاظ: ٢١٣.

[٥١] يوسف :٤٥

[٥٢] الزخرف : ٢٣

وهناك من الاثار والأخبار ما لا يتّفق مع ما ذكره أستاذنا الفا ضل، فقد قال مقاتل بن سليمان في صدر كتابه، المصنّف في هذا المعنى حديثا مرفوعا ووهو : لا يكون الرجل فقيها كل الفقه حتى يرى القرآن وجوها كثيرة[٥٣].

فقد فسّر بعضهم هذا الحديث المرفوع بأن المراد أن يرى اللفظ الواحد يحتمل معاني متعدّدة، فيحملها عليها اذا كانت غير متضادّة ولا يقتصر به على معنى واحد.

وقصة علي كرم الله وجهه –معروفة في التاريخ الإسلامي ارسل عليّ كرّم الله وجهه – ابن عبّاس الى الخوارج، قال :اذهب اليهم، وخاصمهم، ولا تخاصمهم بالقرآن، فانه ذو وجوه، ولكن خاصمهم بالسّنّة.

وفي روية آخري قال له : يا امير المؤمنين، فاناأعلم بكتاب الله، وفي بيوتنا نزل، قال :صدقت، ولكن القرآن حمّال على وجوه، تقول ويقولون، ولكن حاجّهم بالسّنة، فانهم لن يجدوا عنها محيصا فاخرج اليهم، فحاجّهم بالسنة، فلم يبق بأيديهم حجّة ٥٤.

وما لي أذهب بعيدا فقد قرّر بعض علماء اللغة المحدثين ان ظاهرة المشترك اللفظي تقع في كثير من اللغات، وهذا هو : استيفن اولمان يقرّب بما لا يدع مجالا للشّك ان : اللغة في استطاعتها أن تعبر عن الفكر المتعدّدة بواسطة تلك الطريقة الحصيفة القادرة التى تتمثل في تطويع الكلمات، وتأهيلها للقيام بعدد من الوظائف المختلفة، وبفضل هذه الوسيلة تكتسب الكلمات نفسها نوعا من المرونة والطواعية " فيظل قابلة للإستعمالات الجديدة٥٥.

على أن الأستاذ الدكتور احمد مختار لم يرتض رأي الستاذ الدكتور أنيس، ووجه اليه ردا يضاف الى ردّنا السابق . فما ذا قال الدكتور مختار ؟

قال : واذا كان لنا من تعليق علي راي الدكتور أنيس فانه يتلخص فيما يأتي :

- أنه رغم تضييقه الشديد لمفهوم المشترك اللفظيّ في كتابه : ((دلالة الألفاظ) ) وقصره المشترك الحقيقي على الكلمات لا تتجاوز أصباع اليد ... نجد في كتابه " في اللهجات العربية "يصرّح بأن المعاجم العربية قد امتلأت به.

---

[٥٣] معترك القرآن :١ /٥١٥، ٥١٤

[٥٤] معترك الأقران :١/ ٥١٥، ٥١٤

[٥٥] انظر : "دور الكلمة في اللغة ترجمة الدكتور كمال بشر :١١٥ في المشترك اللفظي في الحقل القراني، د عبد العالم سالم مكرم، مؤسسة الرسالة، بيروت ص ١٨

- أنه لم يستقر على وضع واحد بالنسبة لكلمات المشترك التى نشأت عن تطور صوتي، فمرّة اعتبرها من المشترك، ومرّة عدّ من الإسراف والمغالاة مجاراة المعاجم العربيّة في اعتبارها من المشترك، وذكر أن الأقرب الى الصواب أنها من قبيل التطور الصوتي .
- أنه مزج بين المنهجين الوصفي والتاريخيّ في علاج هذه الظاهرة وكان الأولى أن يقتصر على أحدهما[٥٦].

***٣) راي المجوزين لواقع المشترك اللفظيّ***

***أدلة هؤلاء تنحصر فيما يلي :***

- الوضع اللغوي. وذلك لجواز أن يقع إمّا من واضعين وبأن يضع أحدهما لفظا لمعنى ثم يضعه الاخر لمعنى آخر، واشتهر ذلك اللفظ بين الطائفتين في إفادته المعنيين، وهذا بناء على أن اللغات غير توقيفية "[٥٧].
- نقل أهل اللغة كثيرا من الألفاظ المشتركة قال السيوطي : والأكثرون على أنه واقع لنقل أهل اللغة ذلك في كثير من الألفاظ"[٥٨].
- الإشتراك من الناحية العقلية واجب الوقوع، لأن الألفاظ محدودة، ولها نهاية تقف عندها، أما المعانى فتتوالد وتتكاثروتتنقل من حالة الى حالة، كفروع الشجرة تنمو وتزدهر وتتشابك كلما دبت فيها الحياة، وسرى عروقها الماء . ويقول السّيوطي :" ومن الناس من أوجب وقوعه –قال لأن المعاني غيرمتناهية والألفاظ متناهيّة وفإذا وزّع لزم الاشتراك"[٥٩] . ومعنى العبارة الأخيرة :أن المعاني اذا قسمت على الألفاظ استوعبتها وبقى من المعاني الكثير الذي لم تستوعبه الألفاظ فتنقسم هذه المعانى على الألفاظ المحدودة، فربّما يكون لكلّ لفظ معنيان أو أكثر تبعا للظروف والأهوال، والمتغيّرات التي تمّ فيها التقسيم .

---

[٥٦] علم الدلالة :١٧٩

[٥٧] المزهر :١/ ٣٢٩

[٥٨] السابق.

[٥٩] المزهر :٣٢٩

وضع كل من ابن درستويه والفارس يده على أسباب جوهرية في حدوث المشترك اللفظي، كان منها تداخل اللهجات، والاستعارة، والحذف، والتطور الدلالي الذي يلحق المعنى العام للفظ، فيصرفهاالى معان أخرى تنطوي على شيء من ذلك المعنى العام الذي ينتظم في تلك المعاني، وتختلف بعد ذلك في دلالتها الخاصة بما لا يخرج عن ذلك المعنى الشامل، وقد لمسنا ذلك في مناقشتهما لفظ (وجد)[٦٣].

ويضيف ابن فارس الى هذه الأسباب سببا آخر يعدّ من قبيل العلاقات المجازية، الا وهو المجاورة والسببية، ويستشهد على ذلك بأمثلة من الشعر، وآيات من القرآن الكريم، فيقول: " قال علماؤنا : العرب تسمي الشيء باسم الشيء اذا كان مجاورا له أو كان منه بسبب، ومن ذلك تسميتهم السحاب سماء، والمطر سماء، وتجاوزوا ذلك الى ان سموا النبت سماء، قال شاعر هم:

اذا نزل السماء بارض قوم ..... .....

وذكر ناس أن من هذا الباب قوله جلّ ثناؤه : **(وانزل لكم من الأنعام ثمانية أزواج)** - الزمر ٣٩/ ٦-، يعنى كخلق، وانما جاز أن يقول : أنزل، لأن الأنعام لاتقوم الاّ بالنبات، والنبات لا يقوم الا بالماء، والله جلّ ثناؤه ينزل الماء من السماء قال ومثله : (يا بني آدم قد أنزلنا عليكم لباسا يواري سوء تكم وريشا) - الأعراف ٢٦/٧- وهو جلّ ثناؤه انما أنزل الماء وولكن اللباس من القطن، والقطن لايكون الا بالماء. قال : ومنه قوله جلّ ثناؤه : (واليستعفف الذين لا يجدون نكاحا) - النور ٢٤ /٣٣- انما أراد – والله أعلم- الشيء ينكح به من مهر ونفقة، وما لابدّ للمتزوج به منه"[٦٤].

ويرى د. احمد مختار عمر أسبابا أخرى لحدوث الإشتراك عند القدماء من خلال تحليله لكتاب(المنجّد في اللغة)لكراع، من هذه الأسباب القلب المكاني، مثل :دام، ودمى، والإبدال، مثل :حنك وحلك، ونقل الكلمة الى المصطلح العلمي، مثل كالتوجية لغة، والتوجيه اصطلاحا

---

[٦٣] انظر المزهر ك١/٣٨٤، والصاحبي :٣١٠

[٦٤] الصاحبي :١١٠– ١١١

وضع كل من ابن درستويه والفارس يده على أسباب جوهرية في حدوث المشترك اللفظي، كان منها تداخل اللهجات، والاستعارة، والحذف، والتطور الدلالي الذي يلحق المعنى العام للفظ، فيصرفهاالى معان أخرى تنطوي على شيء من ذلك المعنى العام الذي ينتظم في تلك المعاني، وتختلف بعد ذلك في دلالتها الخاصة بما لا يخرج عن ذلك المعنى الشامل، وقد لمسنا ذلك في مناقشتهما لفظ (وجد)[٦٣].

ويضيف ابن فارس الى هذه الأسباب سببا آخر يعدّ من قبيل العلاقات المجازية، الا وهو المجاورة والسببية، ويستشهد على ذلك بأمثلة من الشعر، وآيات من القرآن الكريم، فيقول: " قال علماؤنا : العرب تسمي الشيء باسم الشيء اذا كان مجاورا له أو كان منه بسبب، ومن ذلك تسميتهم السحاب سماء، والمطر سماء، وتجاوزوا ذلك الى ان سموا النبت سماء، قال شاعر هم:

اذا نزل السماء بارض قوم ..... .....

وذكر ناس أن من هذا الباب قوله جلّ ثناؤه : **(وانزل لكم من الأنعام ثمانية أزواج)** - الزمر ٣٩/ ٦-، يعنى كخلق، وانما جاز أن يقول : أنزل، لأن الأنعام لاتقوم الاّ بالنبات، والنبات لا يقوم الا بالماء، والله جلّ ثناؤه ينزل الماء من السماء قال ومثله : (يا بني آدم قد أنزلنا عليكم لباسا يواري سوء تكم وريشا) - الأعراف ٢٦/٧- وهو جلّ ثناؤه انما أنزل الماء وولكن اللباس من القطن، والقطن لايكون الا بالماء. قال : ومنه قوله جلّ ثناؤه : (واليستعفف الّذين لا يجدون نكاحا) - النور ٢٤ /٣٣- انما أراد – والله أعلم- الشيء ينكح به من مهر ونفقة، وما لابدّ للمتزوج به منه"[٦٤].

ويرى د. احمد مختار عمر أسبابا أخرى لحدوث الإشتراك عند القدماء من خلال تحليله لكتاب(المنجّد في اللغة)لكراع، من هذه الأسباب القلب المكاني، مثل :دام، ودمى، والإبدال، مثل :حنك وحلك، ونقل الكلمة الى المصطلح العلمي، مثل كالتوجية لغة، والتوجيه اصطلاحا

---

[٦٣] انظر المزهر ك١/٣٨٤، والصاحبي :٣١٠

[٦٤] الصاحبي :١١٠- ١١١

فـي علـم العـرض. ويـذكر كـذلك مـن أنـواع المجـاز، توسـيع المعنـى وتـضييفه، والـسببية، واصطلاق اسم الجزء على الكل، واعطاء الشيء اسم مكانه[٦٥].

***أثر السياق في تحديد الدلالة عند القدماء***

تحدث القدماء عن مسألة السياق وأثره في تحديد دلالة المشترك تحديدا يكشفاللس، ويمنع العموض، فاالمبرد(ت٢٨٦ هـ) مثلا أشار في مقدمة كتابه (ما اتفق لفظه واختلف معناه من القرآن المجيد) الى أهمية السياق، والى ضرورة أن يذكر مستخدم المشترك اللفظي من الدلائل ما يحدد المعنى الذي يريده[٦٦].

وكذلك فعل ابن الأنباري (ت ٣٢٨ هـ) في مقدمة كتابه (الأضداد) ، اذا يقول مبيّنا أثر السياق في تحديد الدلالة : " ان كلام العرب يصحح بعضه بعضا، ويرتبط أوله بآخره، ولا يعرف معنى الخطاب منه الا باستيفائه، واستكمال جمع حروفه"[٦٧]، ويؤ كد هذا مرة ثانية بقوله :" ومجرى حروف الأضداد مجرى الحروف التى تقع على المعاني المختلفة، وان لم تكن متضادة، فلا يعرف المعنى المقضود منها الا بما يتقدم الحرف، ويتأخر بعده، مما يوضح تأويله، كقولك: حمل الولد الضأن من الشاء، وحمل اسم رجل، لايعرف أحد المعنيين الا بما وصفنا"[٦٨]، ويرى أن لهذا أمثلة كثيرة يطول إحصاؤها وتعديدها، تصحبها العرب من الكلام ما يدلّ على المعنى المخصوص[٦٩].

و تنبه القدماء على أهمية السياق في تحديد معنى الكلمة يدلّ على فهم عميق، وبعد نظر في التحليل اللغوي، خصوصا اذا عرفنا أن السياق وأثره في دلالة الألفاظ أصبح أمرا ذا شأن

---

[٦٥] انظر علم الدلالة، د. أحمد مختار عمر : ١٦٠– ١٦٢

[٦٦] انظر السابق نفسه :١٥٠

[٦٧] الضداد:٢.

[٦٨] السابق نفسه :٤

[٦٩] انظر السابق نفسه :٦

عظيم في الدراسات اللغوية الحديثة، حتى اتّخذ طابع النظريات اللغوية، تؤلف فيه المصنفات، أو تحصّص لهاأبواب من كتب[٧٠].

وبهذا نخلص الى أن اللغويين القدامى جعلوا الاشتراك اللفظي من أساسيات تقسيم الكلام ونسبة الألفاظ الى المعنى، فعرّفوه، ولكنّ تعريفهم كان عامّا سهل المنال، ولم يكن جامعا مانعا، تتمايز فيه معالم المشترك ومفرداته، مما أوقعهم في خلاف حول كثرته وقلّته، والأسباب التي تدعو الى القول به، أو إنكاره. بيد أنهم سبقوا عصرهم في الحديث عن أثر السياق في تحديد دلالة اللفظ المشترك، وتخصيصه بأحد معانيه.

***٢) عند المحدثين***

التمس المحدثون أسبابا كثيرة تؤدي الى حصول الاشتراك اللفظي، مما يدلذ عموما على اعترافها الضمني بكثرة المشترك في اللغة، وأنه على خلاف ما قرّلاه بعض الباحثين من تضييق المشترك حتى لا يكاد يجاوز أصبع اليد عدّا[٧١]، وهذه الأسباب هي :

*أ. الوضع اللغوي الأول*

ذهب قلّة من الباحثين الى ان المشترك قد يكون من واضع واحد بغرض الإبهام خشية المفسدة[٧٢]، وقد سبق المحدثين الى هذا السبب كثير من أهل الأصول، يقول الإمام الرازي مثلا: " ان الموضعة تابعة لأغراض المتكلم، وقد يكون غرضه تعريف ذلك الشيء على الإجمال، بحيث يكون ذكر التفصيل سببا للمفسدة، كما روي عن أبي بكر رضي الله عنه، أنه قال للكافر الذي سأله عن رسول الله صلم وقت ذها بهما الى الغار من هو؟ فقال :رجل يهديني السبيل. ولأنه ربما لا يكون واثقا بصحة الشيء على التعيين، الا أنه بصحة وجود أحد هما لا محالة، فحينئذ يطلق اللفظ المشترك لئلا يكذب ولا يكذّب، ولا يظهر جهله بذلك، فان اي معنى

---

[٧٠] انظر مثلا كتاب ك اللغة والمعنى والسابق، جون لاينز، ترجمة كد. عباس صادق الوهاب، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٨٧ م. ونظرية السياق في كتاب علم الدلالة، د. مختار :٦٨– ٧٨

[٧١] انظر دلالة الألفاظ :٢١٤

[٧٢] انظر علم الفصاحة العربية :٣٧٧، والمشترك اللغوي، د.شاهين ك٣٣.

يصح فله أن يقول : انه كان مرادي"[٧٣]، بيد أن في المثال الذي ذكره الرازي نظر، فقول أبي بكر لانظنه يحمل على الإشتراك، وانما هوتورية والتورية من البلاغة، والإشتراك شيء والعوامل البلاغية شيء آخر، كما قرّرنا من قبل ثم ان هذه التورية تتضمن المجاز في دلالة السبيل على الدين أو الاسلام أو طريق الجنة أو ما شابه، ولا ننسى بعد هذا أن غرض الإبهام على السامع خشية المفسدة كان غرضا لابن دريد في تأليف كتاب (الملاحن) اذ جمع فيه قريبا من أربع مئة كلمة من كلمات الحيل في القسم من المشترك.

*ب) تداخل اللهجات*

وقد أشار الى هذا السبب أيضا كثير من القدماء مثل : ابن درستويه[٧٤]، وابي علي الفارسي [٧٥]، وابن السراج[٧٦]، ويكون ذلك بأن تضع قبيلة لفظا لمعنى، وتضع قبيلة أخرى اللفظ نفسه لمعنى آخر، ثم يشيع استخدام اللفظ في المعنيين بمرور الوقت، وقد يتغير معنى الكلمة في لهجة من اللهجات، ثم ينسى المعنى الأصلي ويستعمل في بقية اللهجات، فيحصل الإشتراك.

ونرى ما يراه بعض المحدثين من أن المعاني المجازية التي رويت لنا في بعض الكلمات نشأت بالتاكيد في بيئات لغوية مختلفة، غير ان اللغويين الرواة يوضحون لنا، الا في النادرو بيئة هذا المعنى أو ذاك، ومن البعيد ان يظن المرء أن معاني كلمة (العجوز) التي تربو على السبعين كانت تستخدم في بيئة لغوية واحدة[٧٧].

وقد جعل كثير من المحدثين اختلاف اللهجات سبباعريضا من أسباب نشوء المشترك[٧٨]، والذي نذهب اليه في هذا الشأن هو إخراج هذا السبب والدلالات الناشئة عنه من

---

[٧٣] المحصول :ق١/ ج١م ص ٣٦٤، وانظر الاحكام وللآمدي :٢٤، ومنتهى الوصوو لابن الحاجب :١٨

[٧٤] انظر المزهر ك١/٣٨٥.

[٧٥] انظر الخصص ك١٣ /٢٥٩.

[٧٦] انظر الاشتقاق لابن السراج :٣٣ نقلا عن فصول في فقه العربية :٣٣٠.

[٧٧] انظر فصول في فقه العربية :٣٢٩.

[٧٨] انظر فقه اللغة، د.وافي :١٨٦، والدرسات اللغوية، د.آل ياسين: ٤١٦، وعلم الفصاحة العربية ك٣٧٦، والدلالة اللغوية عند العرب :١١٨، وعلم الدلالة العربي، د.الداية:٧٩.

دائرة الاشتراك اللفظي، لأن اختلاف الوضع عندنا لايعد من عوامل الإشتراك، وقائل الكلمة بهذا المعنى غير قائلها بذلك، وربما لا يجتمعان الا على ألسنة الرواة واللغويين.

*ج) الاقتراض من اللغات الخرى*

وذلك بان يدخل في اللغة لفظ أجنبي، فيصادف له نظرا في صورته، ويختلف في معناه " وهنا نرى كلمتين متحدتين في الصورة مختلفتين في المعنىو ولكن كلا منهماينتمى في الأصل الى لغة مستقلة، ومثل هذا النوع من الكلمات وليد المصادف"[٧٩]. كالبرج من اليونانية لتدلّ على الحصن، وهي في العربية تدلّ على الجميل الحسن الوجه، وكذلك كلمة *(Race)* في الإنجليزية من أصل جرماني بمعنى سباق، وبمعنى جنس في اللاتينية.

وقد حدث مثل هذا في العربية القديمةو ففيها أن " السّكر :نقيض الصحو، وفيها أيضا أن كلّ شق صدّ فقد سكروالسكر سدّ الشق. والمعنى الأول عربي، اما الثاني فهو معرّب من الارامية، وقي العربية الفصحى كذلك: الحب بمعنى الوداد، هو حبّ الشيء، وفيهاكذلك الحب: الحرّة التي يجعل فيها الماء، والمعنى الأول عربي أصيل، أما الثاتي، فهو مستعار من الفارسية لكلمة مماثلة تماما للفظ العربي"[٨٠].

وقد ذهب بعض المحدثين الى ذكر هذا الاقتراض، وجعله من عوامل نشوء المشترك اللفظي[٨١]، ونحن ان كنا ذهبنا الى إنكار الإشتراك في لهجتين من لهجات العرب، فمن باب أولى أن ننكر الإشتراك بين العربية وغيرها من اللغات، ذلك أن متحدث هذه اللغة غير متحدث تلك، فأنى لهما ان يتفقا الا مصادفة عندنا لايجوز أن تتخذ طابع القانون اللغوي وان اتسعت، ويبقى اختلاف الواضع قائما.

*د) التطور اللغوي*

١) التطور الصوتي. وذلك بأن يكون هناك كلمتان مختلفتان في الصورة والمعنى ثم يحدث تطور في بعض أصوات احدهما وفقا لقوانين التطور الصوتي، فتتفق مع الثانية في أصوتها وتبقى مختلفة المعنى، فيحدث بهذا ما يوهم الإشتراك بين معنيين اوأكثر والعقل ينسى

---

[٧٩] في اللهجات العربية :١٩٦. وانظر المثلة في الحاشية (١)و(٢) الصفحة نفسها.

[٨٠] فصول في فقه العربية :٣٣١.

[٨١] انظر في اللهجات العربية:١٩٦، وفصول فيفقه العربية ك٣٣١، وعلم الدلالةود.مختار :١٩٠، والدلالة اللغوية:١٢٠ز

خطوات التطور التي مرت بها الكلمات، ومثال ذلك كلمةالفروة تعني جلدة الراس والغني وأصل الكلمة بالمعنى الثاني هو الثروة أبدلت الثاء فاء، على طريق العربية في مثل :جدث وجدف، وحثالة وحفالة، وثوم وفوم وما شابه ذلك.

وقد ذكر هذا السبب في عوامل نشوء الاشتراك اللفظي طائفة من المحدثين[٨٢]، والذي نذهب اليه في مثل هذه الألفاظ هو اسقاطها من عداد المشترك بناء على ما أصّلناه في تعريفنا للإشتراك اللفظي، حين اشترطنا فيه اتحاد الزمان في معاني المشترك، ولا يخفى ان التطور لا ينفك عن تقلّب الأيام والسنين.

٢) التطور الدلالي : يرى بعض الباحثين[٨٣] أن المشترك قد ينتج عن تطور الدلالة بتطور المدلول، فان كلمة ريشة مثلا تطلق على ريشة الطائر وريشة الكتابة، وظلت كلمة ريشة تطلق على أداة الكتابة حتى بعد أن استعيض عن ريشة الطائر بأداة معدنية، وهذا ما يؤكده (أولمان) بقوله : " ان هناك كلمات أخرى تنشأ عن تطور مدلولات الكلمة الواحدة حين تمتد في خطوط متباعدة الى أن تنعدم العلاقة بينهما"[٨٤].

وقد يكون معنى إحدى الكلمات مستهجنا، أو يحمل فكرة سيئة أو مرتبطا بمعنى غير مقبول، ففي أمريكا مثلا طغت كلمة *(Donkey)* على كلمة *(Ass)*، وحلت محلها بسبب التشابه بين هذه الكلمة وكلمة يتحاشى الناس استعمالهما هناك، أي ان كلمة *(Donkey)* أصبحت مشتركا لفظيا يطلق على الذكر والأنثى أي على الحمار واتانه[٨٥]، ولعلنا نمثل لهذا الظاهرة في لغتنا بكلمة (الحمّام) التي أصبحت تطلق على الحمّام والمرحاض، وذلك تحاشيا لنطق الثانية، ولا سيما بعد أن صار كثير من الناس يجعل المرحاض في الحمّام على الطريقة الإفرنجية.

ويلحق بالتطور الدلالي تخصيص العام، يرى مثلا الأستاذ محمد المبارك أن :" أكثر الأصول التي تشتق منها الألفاظ للدلالة على معان جديدة ذات معان عامة لذلك فقد تستعمل

---

[٨٢] انظر مثلا ك اللهجات العربية ك١٩٧، وفقه اللغة، د. وافي ك١٨٦، وفصول في فقه العربية ك٣٣٢، ومحمد الطاهر بن عاشور(اللفظ المشترك في العربية٩ مجلة الهدية الاسلاميةو القاهرة ومج ٦، ع٤ (١٣٥٢هـ) ، ص ٣٠٨.

[٨٣] انظر الدلالة اللغوية عند العرب :١١٧.

[٨٤] دور الكلمة في اللغة :١٢٥.

[٨٥] انظر المرجع السابق :١٣٠.

للدلالة على مسميات مختلفة تشترك في تلك الصفة أو ذلك المعنى العام "[٨٦]، وأشار ايضا الى هذا المعنى العام د. آل ياسين في حديثه عن معاني (وجد) ومناقشة ابن درستويه لها ويرى ان هناك تطورا دلاليا لحق المعنى الأول العام فصرفه الى معان أخرى تشترك في احتوائها على شيء من ذلك المعنى الشامل وتختلف فيما بينها في معنى خاص"[٨٧].

ونقول في التطور الدلالي عموما ما قلنا آنفا في التطور الصوتي، ونحن بهذا لاننكر القول بالتطور الصوتي او الدلالي في واقع اللغة، ولا يستطيعه أحد، ولكنه منهج الدراسة الذي التزمنا به في هذا البحث، فالأخذ بمبدأ التطور يعتمد المنهج الوصفي، وهذا يتنافى مع ما اسسناه من اعتماد المنهج التاريخي في تعريف المشترك، اذ اشترطنا اتحاد الزمان والمكان في أصل الوضع، ولذلك فإن دلالة اللفظ على معان عدة باختلاف الزمان، لايعدّ عندنا من قبيل المشترك اللفظي.

*هـ) الاستعمال المجازي*

سبق أن ذكرنااختلاف المحدثين في المجاز، وإنكار بعضهم ان يكون من المشترك أو أسبابه، وراينا أن د. اءبراهيم أنيس بالرغم من إنكاره السابق للمجاز يجعل الانتقال من الحقيقة الى المجاز من أهم العوامل في تغيير المعني واليه يعزى معظم الإشتراك، ويعلل ذلك باننا في فهمنا لمعاني الأشياء لا نتطلب الدقائق والتفاصيل بل نكتفي بفكرة سريعة ذات إرتباط بتجاربنا السالفة[٨٨]، ونرى أن قبول المجاز عموما في عداد المشترك لهذه العلة قلب للأمور، اذ يجعل من افهام العامة منطلقا للأصول اللغوية، وهو مالا يصحح في نظرنا.

والثابت بعد ذلك أن كثيرا من المحدثين أقرّوا أن يكون المجاز سببا رئيسيا من أسباب حدوث المشترك[٨٩]، ونظن أن في انكار نا له انكارا لشرط كبير من ألفاظ هذه الظاهرة، وتقليصا لحجمها الذي تكاد تضيق به المعاجم، ونرى في ذلك خطوة ضرورية نحو المنطق العقلي واللغوي الذي ينبغي أن نحتكه اليه في الظواهر اللغوية عموما.

---

[٨٦] فقه اللغة، محمد المبارك :١٧١.

[٨٧] الدراسات اللغوية عند العرب ك٤١٨.

[٨٨] انظر في اللهجات العربية :١٩٣.

[٨٩] انظر علم الفصاحة العربية ك٣٧٧، وعلم الدلالة، د.مختار :١٨٨، وفصول في فقه العربية ك٣٢٦، واللغة، فندريس:٢٠٦، ومحمد الطاهر بن عاشور ،مقال سابق :٣٠٦.

*و) القواعد الصرفية*

قد يحدث الإشتراك عن طريق القواعد التصريفية، وهو ما يسميه د. ظاظا بالاشتراك الكاذب[٩٠]، كأن تشبه كلمة في صيغة الجمع كلمة أخرى في صيغة الصدر، مثل: النوى جمع نواة، تشترك مع النوى بمعنى البعد، كذلك قد يشترك اسم وفعل في النطق، مثل :هوى، أي سقط، وهوى بمعنى ميلل النفس والحب. ولا نرى مسوغا لتسمية هذا النوع بالإشتراك الكاذب ما دامت تنطبق عليه شروط تعريفنا، وإن كان اللفظ ينتمي في معانيه الى أقسام متباينة من الكلام، وقد سبق أن (كراع النمل) ذكر أمثلة لهذا النوع من المشترك منها كلمة(أجم) [٩١]، نقول رأيت كبشا أجم، تحتمل أن يكون كبشا دنا، وان يكونكبشا لاقرن له.

ومن أسباب الاشتراك عند د. أنيس سوء فهم المعنى، وخاصة عندالأ طفال[٩٢]، وقد ألمح ابن درستويه قديما الى سوء الفهم في اشتباه لفظين لحذف أو اختصار يخفى على السامع، فيتأول فيه الخطأ، ويظن فيهما الاشتراك[٩٣]. ونرى أن في جعل سوء الفهم عند الكبار والصغار من أسباب الاشتراك قلبا للحقائق، فمتى كان الجاهل يسنّ بسوء فهمه قوانين اللغة ؟ وكيف يصير الأطفال بقولهم الصغيرة أساتذة يلقنون اللغة للكبار؟ نعم لاننكر أن يكون سوء فهمهم سببا في اطلاقهم ألفاظا على غير معانيها، ولكن ذلك لا يجوز في نظرنا أن يرقى لمرتبة القانون الذي يوقف عنده، ويؤخذ به في الأحكام اللغوية، فالخطأ يبقي خطأ، ولا يصحّ أن يعزّز حتى يعدل الصواب.

ز) ويرى الشيخ محمد الطاهر بن عا شور أن من أسباب الاشتراك ماطرأ على اللغة من المصطلحات الشرعية كالإيمان والإسلام والصّلاة والتميم[٩٤]، ونقول ان الأسماء الاصطلاحية شيء والمشترك شيء آخر.

---

[٩٠] انظر الدلالة اللغوية عند العرب :١٢١.

[٩١] انظر المنجّد في اللغة :١١٦

[٩٢] انظر في اللهجات العربية :١٩٦.

[٩٣] انظر المزهر :٣٨٥/١

[٩٤] انظر محمد الطاهر بن عاشور (مقال سابق) :٣٠٨.

**د. آثار الاشتراك اللفظي في اللغة**

بحث اللغويون القدامى والمحدثون في آثار الاشتراك اللفظي في اللغة، وخلصوا الى نتائج ايجابية وأخرى سلبية، ثم اقترحوا بعض الطرق للتخلص من ذلك الآثار السلبية.

أولا –الآثار الإيجابية :

١) ان وجود كلمة مستقلة لكل شيء من الأشياء من شأنه ان يفرض حملا ثقيلا على الذاكرة الإنسانية، الاشتراك تكتسب الكلمة نوعا من المرونة والطواعية، فتظل قابلة للاستعمالات الجديدة من غير أن تفقد معانيها القديمة[٩٥]. ونحسب أن في مثل هذا القول اجحافا بحق الذاكرة الإنسانية وقدرتها على الحفظ والإستيعاب، خصوصا اذا كان المخفوظ من الأشياء التي يتداولها المرء في حياته اليومية، فأنّى له أن ينسى اسماءها، ولذانقول ان افتراض مثل هذا الأثر الإيجابي للمشترك اللفظي، انما هو ضرب من التنظير البعيد عن واقع اللغة والذاكرة الإنسانية.

٢) ان استغلال الغموض كخاصة من خواص الأسلوب يدخل في استخدام صور من النفوس الأدبية والبلاغية، مثل التلاعب بالألفاظ، والجناس، والتورية، والإستخدام، وأسلوب الحكيم[٩٦].

٣) استخدام اللفظ في معنى مجازي يجعله أكثر أدبية، اذ يصبح مليئا بالحيوية والاشراق، قادرا على التأثير في النفس، فضلا عما يثيره من دهشة واهتمام، خاصة اذا كان مجازا جديدا[٩٧]. وسبق أن بيّنا أن المشترك غير المجاز.

٤) كثيرا ما يأتي تعدد المعنى أو نقله لسدّ فجوة معجمية، وكثيرا ما يرد هذا النوع في حياتنا اليومية، وفي لغتنا العادية، مثل :أنف الجبل، عنق الزجاجة، رجل الكرسي[٩٨]. ونرى أن هذه الأمثلة لا تخرج عن الفنون البلاغية وان كان عامة الناس يتحدثون بها في حياتهم اليومية، والفنون البلاغية شيء والمشترك شيء آخر.

---

[٩٥] انظر دور الكلمة في اللغة ك١١٤.

[٩٦] انظر دراسات فب فقه اللغة، د.الصالح ك٣٥٢، وعلم الدلالة، دزمختار ك١٨٠، فقه اللغة العربية وخصائصها، د. اعميل يعقوب : ١٧٩، والمشترك اللغوي، د. شاهين :٣٢

[٩٧] انظر علم الدلالة، د.مختار :١٨٣.

[٩٨] انظر الموضع السابق.

**ثانيا- الآثر السلبية :**

١) يعوّق الاشترك اللفظي الفصاحة العربية في أداء المعنى الدقيق، يقول في هذا د. الخفاجي: "لايختلف المشترك عن الترادف في الأثر الذي يتركه في اللغة عامة والفصاحة خاصة، لأن وجودهما يفقد كثيرا من الألفاظ دقتها في أداء المعنى المراد، وعدم الوضوح لدى القارئين أو السامعين، والدقة والوضوح مطلبان ضروريان لظهور الفصاحة ونمائها"[٩٩]، ويرى كذلك أن الإشتراك من العوامل التي تؤدي الى صعوبة نقل المعني من لغة الى أخرى عن طريق الترجمة، أوالتلخيص، أو غير ذلك[١٠٠]. ولنا أن نؤيد د. الخفاجي فيما ذهب اليه ونقول بمثل قوله.

٢) يرى د.مختار[١٠١] أن أخطر الاثار السلبية لظاهرة الاشتراك ما تحدثه من تشويش يعوّق التفاهم، أو يلقي ظلالا من الغموض على المعنى، وترتب على ذلك صراع بين المعنيين أو المعاني، يحمل نتائج لغوية هامة، قد تتصل بوجود الكلمة. تواجه اللغة هذه المشكلة الخطيرة أو الحالة الوبائية- كما سمّا ها أولمان- بجملة من الإجراءات السريعة، تضع حدّا لهذا الصراع، وتفصل بين الكلمتين، ومن هذه الإجراءات: أولا هجر أحد المعنيين، وتركه بالكلية لتصادمه مع المعنى الاخر، وكثيرا ما هجر المعنى الأول، ويبقى الثاني، اذا ما حدث الاحتكاك. وعادة يحدث الاحتكاك اذا تحققت الشروط الآتية:

١- أن تكون الكلمتان مستعملتين في مجال لغوى واحد، وطبقة اجتماعية واحدة.

٢- أن تقضي كلمتا المشترك الى النوع نفسه من الكلام، وأن يردا في التراكيب النحوية نفسها.

٣- أن تستعمل الكلمتان في مدّة زمنية واحدة.

٤- أن تتحد كتابة الكلمتين.

ثالثا- تغيير صيغة احدى الكلمتين حتى تأخذ شكلا خاصا بها، يميزها من الكلمة الأخرى.

---

[٩٩] علم الفصاحة العربية :٣٧٦

[١٠٠] انظر السابق نفسه :٣٣٦.

[١٠١] انظر علم الدلالة ك١٨٣-١٨٨

رابعا- عدم استخدام بعض الكلمتين التي سينبغي أن تنطبق بابدال صوتي معين (طبقا لنظام اللهجة الصوتي) ، وذلك لأنهم لواستخدمت بعد إبدالها الصوتي لطابقت كلمة أخرى موجودة بالفعل في اللغة، مما يؤدي الى نشوء الإشتراك.

خامسا- قد ينتج عن صراع المعاني بين الكلمات المشتركة تحديد استعمالات الكلمات، فتخصص كلمة بجموعة أو مهنةو أو دائرة معينة، فكلمة (جذر) مثلا لها معنى واحد عند الفلاح، وعالم النبات، ولها معنى ثان عند اللغوي، وثالث عند عالم الرياضيات، ولا تتصارع هذه الكلمات لتخصيص كل منها بمهنة معينة.

و للشيخ محمد الطاهر بن عا شور[١٠٢] اقتراح في علاج الأثر السيء للمشترك يقوم على خمس نقاط، نجملها فيما يلي:

١- يجب أن نسعى الى تأليف قاموس تحقق فيه معاني اللألفاظ التي يتراءى لنا انها مشتركة، فنبيّن عروض الاشتراك لها من الاستعمال لا من الوضع، لنرفع بذلك الملام عن واضعي اللغة.

٢- يجب أن إبطال اشتراك الضّدية في استعمال المتكلمين بالعربية في المستقبل.

٣- ان نعتمد على لغة قريش فنجعلها حكما في كل لفظا مشترك نشأ اشتراكه من لغتين.

**هـ. المشترك اللفظي في الحقل القرآ ني**

هناك عدة امثلة لهذا المشترك اللفظي الذى ورد في القرآن الكريم، وهي امثلة لا نستطيع ان نستوعبها في هذا البحث ولنقتصر فقط في هذا الموضوع على ذكر ثلاثة نماذج من كتاب التصريف حول ثلاث كلمات، وهي : الهدى، والكفر وسواء.

لكلمة (هدى) سبعة عشر وجها: الوجه الأول :وذلك قوله في البقرة (**اولئك عل هدى من ربّهم**)[١٠٣]. والوجه الثانى :دين الاسلام، وذلكقوله في الحج (**انّك لعلى هدى مستقيم**) [١٠٤] . يعنى على دين مستقيم حق وهو الاسلام. الوجه الثالث :الايمان : وذلك قوله في سورة مريم

---

[١٠٢] محمد الطاهر بن عاشور (مقال سابق) :٣٥٧- ٣٥٨

[١٠٣] البقرة/٥

[١٠٤] الحج/٦٧

(**ويزيد الله الذين اهتدواهدى**) [١٠٥] يعنى يزيدهم ايمانا. الوجه الربع :هدي يعنى دعاء، وذلك في الرعد(**ولكل قوم هاد**) [١٠٦]. يعنى داعيا، يعنى نبيّا. وفي الأنبياء : (**علنا هم أء ئمة يهدون بأمرنا**).[١٠٧] االوجه الخامس :هدى يعنى معرفة ذلك قوله فى النحل (**وبالنّجم هم يهتدون**)[١٠٨]، يعنى يعرفون الطرق.

الوجه اسادس كهدى يعنى أمرا، يعنى أمر النّبي، وذلك قوله في : (الذين كفروا) . (**من بعد ما تبيّن لهم الهدى**)[١٠٩] يعنى أمر محمد انه رسولالله، وقامت عليهم الحخة بالنّبيّ والقرآن. االوجه السابع : هدى يعنى رشدا، وذلك قوله في القصص (**عسى ربي ان يهد ينى**).[١١٠] االوجه الثا من: هدى يعنى رسلا وكتبا وذلك قوله في البقرة (**فامّا ياتينكم منّى هدى**)[١١١] يعنى رسلا وكتبا. االوجه التاسع : هدى يعنى القرآن، وذلك قوله في النجم : (**ولقد جاء هم من ربّهم الهدى**) [١١٢] يعنى القرآن وفيه بيان كلّ شيء. االوجه العاشر:هدى يعنى التوراة، وذلك قوله في حمّ (المؤمن) (**ولقد آتينا موسى الهدى**).[١١٣] االوجه الحادي عشر : هدى يعنى التوفيق، وذلك قوله في البقرة : (**وأو لنك هم المهتدون**).[١١٤]

االوجه الثاني عشر :هدى : لايهدي :وذلك قوله في البقرة : (**والله لا يهدى القوم الظالمين**)[١١٥]. المشركين لا يهديهم الى الحجة وولا يهديهم من الضلالة الى دينه. الوجه الثالث

---

[١٠٥] مريم/٧٦

[١٠٦] الرعد /٧

[١٠٧] الأنبياء /٧٣

[١٠٨] النحل /١٦

[١٠٩] محمد /٢٥

[١١٠] القصص/٢٢

[١١١] البقرة/٣٨

[١١٢] النجم /٢٣

[١١٣] المؤمن/ ٥٣

[١١٤] البقرة /١٥٧

[١١٥] البقرة/ ٢٥٧

عشر :هدى يعنى التوحيد، وذلك قوله في القصص : (**ان نتبع الهدي معك نتخطف من أرضنا**)[١١٦] يعنى التوحيد وهو الايمان. الوجه الرابع عشر : هدى يعنى سنّة، وذلك قوله في الزخرف (**وانّا على آثارهم مهتدون**) [١١٧] يعنى مستنون سنتهم في الكفر. الوجه الخامس غشر: هدى يعنى التوبة : وذلك قوله في الأعراف: (**انّا هدنا اليك**) [١١٨] تفسير مجاهد وقتادة (انا تبنا االيك). االوجه السادس عشر ك يهدى ك يصلح، وذلك قوله في سورة يوسف(**وان الله لا يهدى كيد الخائنين**).[١١٩] الوجه السابع عشر : هدى يعنى الاهام، وذلك قوله في طه (**الذى أعطى كلّ شيء خلقه ثم هدى**).[١٢٠]

الكفر على أربعين وجوه: الوجه الأول : الكفر يعنى الكفر نفسه، يعنى الكفر بتوحيدالله ولانكارله، وذلك قوله في سورة البقرة : (**ان الذ ين كفروا سواء عليهم أأنذرتهم**) [١٢١] يقول : ان الذين كفروا بتوحيدياالله الذين يلقوناالله بكفرهم. الوجه الثانى : الكفر يعنى الجحود وذلك قوله في البقرة (**فلمّا جاءهم ما عرفوا كفروا به**)[١٢٢] يعنى جحدوا به، وهم يعرفونه. الوجه الثالث : الكفر يعنى كفر النعمة، وذلك قوله في البقرة (**واشكروا لى ولا تكفرون**) [١٢٣] ولا تكفروا نعمتى. الوجه الرابع : الكفر يعنى البراءة : وذلك قوله في ((الممتحنة) ) (**كفرنا بكم**) [١٢٤] يعنى تبرانا منكم، قال الحسن : كفرنا بولايتكم في الدين .

---

[١١٦] القصص/ ٥٧

[١١٧] الزخرف /٢٢

[١١٨] الأعرف / ١٥٦

[١١٩] يوسف /٥٢

[١٢٠] طه / ٥٠

[١٢١] البقرة /٦

[١٢٢] البقرة /٨٩

[١٢٣] الآية /١٥٢

[١٢٤] الممتحنة /٤

سواء على ستة وجوه: الوجه الأول : سواء يعنى عدلا، وذلك قوله في ((ال عمان) ) (**قال يا أهل الكتاب تعالوا الى سواء بيننا وبينكم**)[١٢٥] يعنى عدلا بيننا وبينكم .الوجه الثانى : سواء يعنى وسطا، وذلك قوله في الصافات (**فرآه في سواء الجحيم**).[١٢٦] الوجه الثالث : سواء يعنى أما بيّنا، وذلك قوله في سورة الأنفال:(**فا نبذ اليهم على سواء**) [١٢٧] يعنى على أمر بيذن. االوجه ألرابع سواء يعنى شرعا وذلك قوله في سورة الحج (**سواء العاكف فيه والباد**)[١٢٨] يعنى اهل المكة والبادهم في بيو تها شرعا سواء. الوجه الخامس : سواء يعنى قصدا، وذلك قوله في القصص(**عسى ربّى أن يهديني سواء السبيل**).[١٢٩] الوجه السادس : سواء يعنى سواء في الاستواء وذلك قوله في البقرة : (**سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تن ذر هم لايؤمنون**)[١٣٠] يعنى اناسا من كفار العرب لأنه طبع على قلوبهم، ان أنذرت الكفار أم لم تنذلرهم فهو عليهم سواء.[١٣١]

في ضوء هذه النماذج الثالاثة نستطيع القول بأن هذه الوجوه المتعددة لكل ّلفظة من هذه الألفاظ الثلاثة يحمل كلّ وجه منها معنى مستقلا، ولا نتكلف فنقول انها ترجع الى أصل واحد، فلا علاقة ((بين معاني أمة) ) مثلا : التى تكررت معانيها حتى بلغت تسعة وجوه. فالأ مة يعنى العصبة –والسنذن –والقوم –ولامام –ولأمم الالية، وأمة محمد خاصة، وأمة محمد الكفار منهم الخاصة، والأمة الخلق[١٣٢].

---

[١٢٥] آل عمران /٦٤

[١٢٦] الصافات /٥٥

[١٢٧] الأنفال /٥٨

[١٢٨] الحج /٢٥

[١٢٩] القصص/ ٢٢

[١٣٠] البقرة /٦

[١٣١] انظر (التصاريف من ص ٩٦ – ١١٢، وقد تركت كثيرا من الأمثلة القرآنية المؤكدة للمعنى، واكتفيت بمثال واحدة لكل معنى حرصا على الاعجاز.

[١٣٢] انظر : تفسير : (أمة) على تسعة وجوه من كتاب (التصايف)

**و. الخاتمة**

إن ظاهرة الإشتراك اللفظي ظاهرة لغوية عامة شائعة يشترك فيها معظم اللغات وهي من خصوصية اللغة العربية لأنها حافلة بها أكثر من غيرها وذلك بالرغم من أن هناك من العلماء اللغويين من يري عدم وجود تلك الظاهرة .وثبت الترجيح في هذا البحث علي أن رأي اللذين يرون وجود المشترك اللفطي أقوي وأثبت دليلاً ممن يرون عدم وجود ذلك. إن ظاهرة المشنرك اللفظي تعتبر من إحدي التطور اللغوي فاللغة إيا كانت اللغة كائن حي يتطوركما يتطور كائن حي أخر. فكما أن المشترك اللفطي ظاهرة شائعة في مجال اللغويات وخاصة في اللغة العربية فإن ظاهرة المشترك اللفظي تتميز بأنها تنتشر في نفوس المؤمنين من خلال القرآن بل نستطيع أن نقول من أن ظاهرة المشترك اللفظي جزء من إعجاز القرآن.

المصادر


ابراهيم أنيس، *دلالة الألفاظ*، مكتبة الأنجلو المصرية، ط ٣، ١٩٧٢م.

ابراهيم أنيس، *في اللهجات العربية*، مكتبة الأنجلو المصرية.

ابن جني، *الخصائص*، دار الكتب المصرية.

ابن سيده، *المخصص*، بيروت: دار الأفاق الجديدة.

ابن فارس، *الصاحبي*، تحقيق أحمد صقر، القاهرة: عيسي الباب الحلبي.

أبو الحسن بن علي الخسن الهنائي، *المنجّد في االغة*، القاهرة: عالم الكتب.

أحمد مختار عمر، *علم الدلالة*، الكويت: مكتبة دار العربية.

إميل بديع يعقوب، *فقه اللغة العربية وخصائصها*، بيروت: دار العلم للملايين ، ١٩٨٢م .

توفيق شاهين، المشترك اللغوي نظرية وتطبيقا، القاهرة: مطبعة الدعوة الإسلامية.

جلال الدين السيوطي، *المزهر*, الحلبي.

جلال الدين السيوطي، *معترك القرآن في اعجاز القرأن*، دار الفكر الغربي.

جون لاينز، *اللغة والمعنى والسابق*، ترجمة: عباس صادق الوهاب، بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة، ١٩٨٧ م.

رمضان عبد التواب، *فصول في فقه العربية*، القاهرة: مكتبة الخانجي، ١٩٨٧.

ستيفن اولمين، *دور الكلمة في اللغة*، ترجمة: كمال بشر، مصر: مكتبة الشباب، ١٩٧٦م.

صبحي الصالح، *دراسات في فقه اللغة*، بيروت: منشورات المكتبة الأهلية، ١٩٦٢.

عبد العالم سالم مكرم، *المشترك اللفطي في الحقل القراني*، بيروت: مؤسسة الرسالة.

عبد الواحد حسن الشيخ، *البلاغة وقضايا المشترك اللفظي*، مؤسسة شباب الجامعة الإسكندرية.

الكتاب لسيبويه، تحقيق عبد السلام محمد هارون، بيروت: عالم الكتب، ١٩٦٦ م.

*المثلثات*، ليبيا: دار العربيّة للكتاب.

محمد الآنطاكي، *دراسات في فقه اللغة*، بيروت: دار الشرق العربي.

محمد رزق الخفاجي، *علم الفصاحة العربية*، القاهرة: دار المعارف، ١٩٨٢.

نور الدين الجزائري، *فروق اللغات*، تحقيق محمد رضوان الداية، دمشق: منشورات المستشارية الثقافية الإيرانية١٩٨٨م .